رجل أعمال

قام أحد نزلاء مستشفى الأمراض العقلية اليوم بالانتحار، فجئت لتغطية الخبر، ستعينني على هذه المهمة صديقتي الدكتورة «منال» التي تعمل هنا.

جلست أنتظرها في حديقة المشفى، أخرجت هاتفي لأجري اتصالًا بزميلة لي في الصحيفة التي أعمل بها، ما إن أغلقت الهاتف حتى جلس بجواري رجل على مشارف الخمسين، يرتدي بذلة سوداء فاخرة، رمقته بنظرة متسائلة، فقال:

_ألا تعرفينني؟

بتأفف أجبته:

_لم أَنَلْ هذا الشرف بعد.

هبَّ واقفًا، عبث بأزرار بذلته، مد يده مصافحًا، وقال بابتسامة عريضة:

_حسين العربي، رجل أعمال.

«نعم نعم، إنها مهنة من لا مهنة له» أسررتها في نفسي ولم أُبْدِها له.

_أهلًا وسهلًا بحضرتك.

صمت لحظات كمن يتذكر شيئًا، ثم قال بلهجة لم تَخْلُ من الفخر:

_هل سمعتِ عن حسين العربي قبل اليوم؟

_ترددت قليلًا قبل أن أجيبه:

_حقيقة لم أسمع عنه من قبل.

فبدا الانزعاج على وجهه مختلطًا بحزن شديد، فأكملتُ:

_الحق أني لست من سكان القاهرة.

_أنا وبلا فخر صاحب ...
وراح يعدد أملاكه وأعماله حتى سئمت الكلام، فهؤلاء لا يعرفون غيره، لكنه بدأ يتحدث عن مستشفيات قام ببنائها، ومشاريع خيرية يشرف على إتمامها، بدأ الشك يساورني، فأنا أعرف هؤلاء جيدًا، لا يهمهم سوى المظاهر وأخذ اللقطة، لم أَنْسَ يوم أن طلبت إلى أحدهم المساعدة في علاج بعض الحالات، فرحّب ووعد بالمساعدة، لكنه اشترط مساحة إعلانية في الصحيفة لحساب شركاته، ولما أعياني شرح الفاصل بين هذه وتلك، تحدثت إلى رئيس التحرير الذي أخبرني أن هناك من عرض مقابلًا أعلى لتلك المساحة، فذهب الوعد بالمساعدة أدراج الرياح.
_ إنني أحب مساعدة الناس كثيرًا، أشعر بالسعادة عندما أفعل.
_شيء رائع.
_لكن أهل الشر كُثُر، لا يعجبهم ذلك.
_ أهل الشر؟!
_نعم، زوجتي وأبنائي، يعترضون على قراراتي كثيرًا.
_ربما يخشون تبديد الثروة.
_ لكنني لا ألتفت إليهم، أفعل ما أريد.
فكرت في أن أعرض عليه الحالات التي تحتاج إلى مساعدة، فكرة جيدة ومنها أعرف حقيقة ما يتشدَّق به.
_عندي حالات تحتاج المساعدة، هل ..
لم يمهلني إتمام جملتي، اندفع قائلًا:
_طبعًا طبعًا، أساعدهم بلا شك.

سررت كثيرًا، أخيرًا وجدت متبرعًا، وأي متبرع، بدأت حرارة الجو تزداد، فأحسست بالعطش، وكأنه شعر بي، قال بصوت يخالطه السأم:

_سأشرب عصيرًا مثلجًا، هل تريدين؟

_أكون شاكرة لحضرتك جدًا.

_المشروب هنا بخمسة جنيهات.

ارتبكت قليلا وأنا أبحث في حقيبتي عن خمسة جنيهات، أعطيتها له، فتوجه ناحية الشجرة القائمة على بعد خطوتين من مكان جلوسنا، حفر حفرة بيديه، ألقى بالجنيهات الخمس، ثم أهال عليها التراب، نظرت إليه في ارتياب وتساؤل، فقال وهو يقترب مني بحذر شديد:

_خمس دقائق، ستنبت هنا شجرة وتأخذين منها العصير الذي تريدين، لكن لم تخبريني، جوافة أم مانجو؟!